**نظريات المدخل المحافظ في تفسير الظواهر السكانية1**

**1- هربرت سبنسر:**

مفكر اجتماعي مشهور عرف باهتمامه بالتطور البيولوجي الاجتماعي للقوى الطبيعية. وقد عرض سبنسر قضايا النظرية السكانية ضمن كتابه (مبادئ البيولوجيا) عام 1901. وأهم أفكاره:

أ- أنَّ الغذاء الجيد يزيد القدرة على التناسل لأنَّ الحياة عند كثير من المخلوقات تبدأ في وقت من العام يكون فيه الدفء كبيراً والمئونة الغذائية متوفرة والتي تسهل بدورها حياة الفرد مما يؤدي إلى تزايد السكان.

ب- أنَّ هناك تعارضاً بين التناسل والنضج الذاتي، لأنَّ المخلوقات كلما ارتفعت وتطورت من الأشكال الدنيا للحياة، نقصت خصوبتها فالأجسام العضوية التي لا تستطيع المحافظة على نفسها تتكاثر بدرجة كبيرة حتى لا تفنى، بينما الأشكال العليا للأجسام العضوية تنفق جزءاً كبيراً من قوتها ونشاطها الحيوي في إنضاج ذاتيتها وبناء شخصيتها ولا يتبقى لها إلاَّ القليل لبذله في مجال التوالد والإنجاب.

ج- لاحظ سبنسر قلة النسل بين السيدات المشتغلات في المهن الفكرية واللاتي كن ينتسبن إلى طبقات عليا بسبب الإجهاد الذهني وعجزهن عن إرضاع أطفالهن ورعايتهم ومدهم بالغذاء الصحي.

د- وعليه قرر سبنسر أنه كلما ازداد ما بذله الفرد من جهود لتأكيد ذاته ووجوده ونجاحه ضعفت جهوده في الإنجاب والخلف.

هـ- وبناء على ذلك تنبأ سبنسر بأنَّ مشكلة تزايد السكان ستختفي مع ما يصاحبها من شرور أخرى مادام الإنسان ينشد الرقي ويبذل جهوداً كبيرة في سبيل ذلك.

وتمتاز أفكار سبنسر بأنها تمثل عملاً نظرياً مكتمل البناء، واستندت إلى عوامل التطور الاجتماعي في تفسير نمو السكان وتحقيق التوازن بين أفراده في المجتمع، ومع ذلك كانت هناك **بعض الملاحظات النقدية على هذه الأفكار منها:**

- أنه برغم حرص سبنسر على تدعيم فروضه بناء على شواهد من الواقع، إلاَّ أنه أغفل عدداً آخر من الشواهد التي تخالف هذا الفرض وهي أنَّ الخصوبة المتناقصة لا ترجع إلى تغيرات فسيولوجية في بناء الإنسان بقدر ما ترجع إلى الرغبة والاختيار في تحديد حجم الأسرة باستعمال ما وفره العلم الحديث من وسائل حديثة لضبط النسل.

- وأنَّ هناك عوامل أخرى غير التعليم تؤثر في القدرة على الإنسال، ذلك أنَّ المرأة التي نالت قدراً من التعليم لابد أنْ تكون قد تجاوزت أهم فترات خصوبتها والتي تتميز بها المرحلة العمرية (من 20-30) سنة.

**2- كواردو جيني:**

مفكر اجتماعي إيطالي اهتم بدرجة كبيرة بدراسة التغير السكاني باعتباره مؤشراً على تطور وتغير المجتمع.

وقد عرض جيني قضاياه النظرية في مؤلفه (أثر السكان في تطور المجتمع) عام 1912 والتي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

أ- سلم بأنَّ المجتمع يمر بمراحل ثلاث، هي النشأة والتكوين والتقدم والازدهار والاضمحلال والفناء.

ب- افترض أنه في كل مرحلة من مراحل تطور وتغير المجتمع يمكن أنْ نلاحظ خصائص محددة تميز نمو السكان ونتائج تترتب على هذا النمو تؤثر في مختلف جوانب المجتمع.

ج- ثم أخذ يبحث عن الشواهد الواقعية التي تؤكد الارتباط بين نمو السكان وتغير المجتمع فلاحظ:

1- مرحلة النشأة:

المجتمعات في مرحلة النشأة والتكوين تتميز بمعدل خصوبة مرتفع. وكان يصاحب ذلك النمو السكاني عدم وجود اختلافات اجتماعية واضحة بين سكانه وفئاته إلى طبقات مثلاً، وهذا ما كان عليه الحال في مجتمعات مثل كريت وأثنيا وإسبرطة وحتى المجتمعات الحديثة النشأة والتي تكونت عن طريق الهجرة الدولية مثل أمريكا واستراليا وكندا ونيوزيلاندا، ولكن نتيجة لما كان يترتب على الخصوبة المرتفعة من زيادة في حجم السكان وكثافتهم بدأ ينعكس أثر ذلك على بناء المجتمع وأخذ يصاحبه تباين في الأوضاع الاجتماعية واختلاف في الطبقات.

2- مرحلة التقدم والازدهار:

وفيها يحدث تناقص في الخصوبة ويقل عدد السكان نتيجة

- المواليد في المجتمع يجيئون عن نسبة صغيرة من سكان الجيل السابق على هذه المرحلة، ولأن النسبة الأخرى من هؤلاء السكان قد دخلت في عداد الوفيات قبل زواجها أو لم يستطيع جزءاً منها أنْ ينجب نسل بعد الزواج.

- هذا فضلاً عن أن نسبة الانسال بين الطبقات الصاعدة إلى أعلى السلم الاجتماعي تتجه عموماً نحو الانخفاض. وحتى عندما تحاول نسبة من سكان الطبقات الدنيا الصعود في السلم الاجتماعي لتملأ الفراغ الناجم عن انخفاض أنسال الطبقة العليا ، فإنها ما تلبث بدورها أن تلقى مصير سابقتها.

- ما يترتب على الهجرة والحروب التوسعية من نتائج تلك تقع على عائق أكثر الأفراد قوة ومغامرة وحماس وطني واستعداد للتضحية من أجل الوطن وهم الشباب حيث يفقد المجتمع أصلح عناصره خصوبة ويقل عدد سكانه.

النتائج الاقتصادية لنقص السكان: يترتب على النقص في عدد السكان وزيادة استغلال المستعمرات والبلاد المغلوبة أنْ ينتعش الاقتصاد ويرتفع مستوى المعيشة وتعم الرفاهية ويظهر التصنيع وتنمو المدن وتزدهر التجارة. كما تزدهر الفنون والموسيقى والأدب ويشعر المجتمع بالسعادة والاطمئنان على مستقبله ويصبح أكثر ديمقراطية.

3- مرحلة الاضمحلال والفناء:

وفيها يقل عدد السكان في المناطق الريفية نتيجة لنمو التصنيع والتوسع في هجرة العمالة من الريف إلى الحضر. مما يؤدي إلى إهمال الأرض الزراعية وسوء حالة الفلاحين، وقلة الطلب على الصناعات في المدينة وزيادة الإنتاج على الاستهلاك فتحل الأزمات الاقتصادية ويزداد التعارض بين أحوال الطبقات العمالية في المدن والطبقات العليا وتزداد حالة المجتمع سوءاً واضمحلالاً مما قد يعجل بفنائه واختفائه إلاَّ إذا لجأ المجتمع إلى الهجرة وإيجاد المستعمرات الجديدة وهو الحل الذي يقترحه جيني لتجنب الانهيار.

**ملاحظات نقدية على نظرية كواردو جيني:**

**-** يلاحظ أنَّ "جيني" يفترض وجود قوة طبيعية تعمل على تحديد عدد السكان بالارتفاع والانخفاض تتمثل في العوامل البيولوجية وضعف القدرة على التناسل وهو افتراض يصعب قبوله ذلك لأن العلم قد أوضح خطأ التفسير استناداً إلى طبيعة غامضة لا يستطيع الإنسان التحكم فيها وضبطها.

- استمد الوقائع التي بني عليها نظريته من تاريخ بعض الشعوب مثل اليونان والرومان، ولكن هناك شعوب أخرى أخذت اتجاهاً مغايراً لاتجاه تطور المجتمع عند جيني مثل شعوب الصين والهند0

- أنَّ المجتمعات الأخيرة تتميز بدرجة عالية من الخصوبة ولا تختلف من طبقة إلى أخرى0 وعليه فإنَّ هذه النظرية لا يمكن أنْ تنطبق على كل المجتمعات وفي كل الأوقات كما ذهب هو.

- هناك عوامل أخرى غير الهجرة والحروب تؤثر في انخفاض معدل نمو السكان مثل: المجاعات والوفيات والإجهاض وانخفاض نسبة المواليد وهي عوامل لم ينتبه إليها "جيني" وقد يؤثر ظهورها في أن يسير تطور المجتمع في اتجاه يختلف كلياً عن الاتجاه الذي تصوره "جيني" مع وجود عوامل الهجرة والحروب.

- أنَّ هناك عوامل غير العوامل السكانية مثل: الحروب كانت سبباً في اضمحلال بعض الشعوب مثل شعوب بولندة وقرطاجة وتركيا وإمبراطورية جنكيز خان وهى لم تسير في نفس خط نشأة المجتمعات الذي وضعه جيني0